تفسير الكتاب المقدّس

الأب ناجي ابراهيم

مقدّمة

كل نص قديم يحتاج الى تفسير. هناك كثير من المعطيات التي تجعل فهمه أمراً عسيراً، مثل لغة الكاتب ومحيطه الثقافي والتاريخي والجغرافي. والكتاب المقدّس هو مجموعة من النصوص القديمة التي تحتاج الى تفسير. ولكنه يختلف عن اي نصّ قديم آخر نسبة الى أصله الالهيّ. لذلك يتطلّب تفسير الكتاب المقدّس الاخذ بعين الاعتبار أصله الالهيّ وهدفه الخلاصيّ.

يجب أن يكون تفسير الكتاب المقدّس خاتمة الالمام ببحوث أساسية أخرى تتعلّق بجوهر الكتاب المقدّس. على المفسّر أن يأخذ بعين الاعتبار الاصل الالهي والانساني للكتاب المقدّس، أي بعقيدة الوحي الالهي والالهام، ويقبل بقانون الكتاب المقدس الذي يحدّد امتداد الالهام. ويعلم أنّ النصّ قد وصل إلينا صحيحاً وهذا ما يؤكده علم النص. إذاً يتطلّب التفسير الصحيح للكتاب المقدّس الالمام بهذه الامور الأساسية للايمان.

بهذه المعطيات يتميّز التفسير البيبلي في الكنيسة. ففي وثيقة اللجنة الحبرية للكتاب المقدّس: **التفسير البيبلي في الكنيسة**، لدينا تأكيد على هذه المبادئ المهمّة. مع انتهاء العصور الوسطى وبدايات النهضة، كان على الكنيسة ان تدخل في حوار مستمر واحياناً مرير مع الذهنيات العلمية الناشئة. فقد توصّل العلماء احياناً الى نفي الاصل الالهي للكتاب المقدّس والى تحديد حقيقة الكتاب المقدّس على الامور العقائدية والاخلاقية دون سواها. و لم تَنتهِ السجالات الصعبة حول طريقة التفسير إلا في أواسط القرن الماضي عندما تبنّت الكنيسة رسمياً الاسلوب العلميّ

النقدي والتاريخي مؤكدة أنّه لا يتنافى مع ايمان الكنيسة بالهام الكتاب المقدّس[١].

هكذا راح المفسرون الكاثوليك يعملون بجديّة على تفسير الكتاب المقدّس مستندين على الاسلوب التاريخي والادبي. ولكن العمل بحسب هذه المنهجية أظهر مع الوقت بعض الشوائب، لأن البعض راح يفسّر الكتاب المقدّس وكأنه مجرّد نص أدبي قديم لا صلة ايمانية له ولا هدف خلاصي. فجاء المجمع الفاتيكاني الثاني ليؤكد عقيدة الالهام، ولكن هذه المرة بدون دحض لهرطقات أو اخطاء. أرادت الكنيسة وبكل بساطة أن تشهد لايمانها الذي اتخذ عبارات ثقافية مختلفة عبر التاريخ، في إطار حوار مستمر وفعّال مع تطور العقل البشريّ والاساليب العلمية. لم تتخلّ الكنيسة عن «التقليد» لتتبنّى الاسلوب العلمي الحديث، لا بل تكيّفت ولو بعد مراحل صعبة من عدم التفاهم والحرب على الايمان من قبل العلماء على الاساليب الجديدة. فتحت الكنيسة الباب أمام الاسلوب التاريخي والنقدي مؤكدة أنّ عقيدة الالهام لا تتنافى معه. ما هي هذه العقيدة؟

تميّز الكنيسة الكتب المقدّسة فتقول: «لأنها دوّنت بالهام من الروح القدس، وهي من وضع الله، وسُلّمت الى الكنيسة بهذه الصفة» (كلمة الله ١١)[٢].

لا يستطيع المفسّر أن يقوم برسالته بدون الاخذ بعين الاعتبار هذه الخلفية الايمانية. واليوم تأتي الفلسفة التفسيرية لتساهم في ما أكّدته الكنيسة عبر العصور.

في مطلع عصر النهضة الاوروبية كانت بداية الفلسفة الوضعية التي كان لها التأثير الكبير على العلوم اللاهوتية والبيبلية. توصّل الفكر الوضعي الى اعتبار التقليد مناف للعلم. يجب التخلّص من الأحكام المسبقة والتوجّه الى النص بحرفيته. لم تكن هذه المقولة سوى البداية التي وضعت اللاهوتيين الكاثوليك في حال دفاع مستمر عن المسلّمات الايمانية دون التوصل غالباً الى حلول عملية على الصعيد العلمي.

(١) راجع بيوس الثاني عشر، الرسالة العامة **بوحي إلهيّ**.

(٢) حدّدت الكنيسة هذه العقيدة في المجمع الفاتيكاني الأول: «دستور عقائدي في الايمان الكاثوليكي».

نورد هنا بعض ما قاله على سبيل المثال الفيلسوف سبينوزا (١٦٣٢ – ١٦٧٧) في كتابه عن البحث اللاهوتي:

– «القاعدة الشاملة للتفسير التي يجب اعتمادها في تفسير الكتب المقدّسة هي في عدم تحميلها أي تعليم لا يبيّنه البحث التاريخي بشكل واضح».

– «عندما نحاول تفسير الكتب المقدّسة يجب الانتباه على ألاّ تنشغل النفس بأفكار مبنية على المعرفة الطبيعية ولا على الاحكام المسبقة. على المفسّر أن يعتمد فقط على استعمال اللغة والتحليل الذي يستند على النص فقط»(٣).

أمّا اليوم، فقد جاءت فلسفة التفسير لتؤكد أهميّة الخلفية الثقافية للمفسّر نفسه. فالعلوم الانسانية والتاريخية تختلف عن العلوم الوضعية. والكنيسة التي اعتمدت على التقليد الالهي الرسولي لتحدّد الكتب المقدّسة وعقيدة الالهام تميّز اليوم، من خلال الوثيقة الحبرية، أهميّة فلسفة التفسير لإظهار الاسلوب الكنسي في التفسير البيبلي(٤). فالسؤال الذي يجب طرحه الآن هو: هل الايمان ضروري للتفسير الصحيح؟ ما هي أهمية التفسير الحرفي للنصوص؟ ما هو دور العلوم الادبية والنقدية في التفسير؟ نحن نؤمن أنّ الكتاب المقدّس هو ملهم، لماذا إذا كل هذه العلوم الادبية والنقدية؟ ومن جهة أخرى، هل الاعتماد على النقد الادبي والتاريخي هو كافٍ للتفسير؟ إذاً ما هو دور الايمان واللاهوت والتقليد الكنسي؟ للاجابة على هذه الاسئلة ولو بشكل مختصر علينا البحث في معاني الكتاب المقدّس: المعنى الحرفي والمعنى المسيحي الكامل. ومن ثمّ ننتقل الى المبادئ التي

---

(٣) Pierre-Marie Beaude, "Baruch SPINOZA et le primat de la raison", Cahiers Evangile74 (1990) 19 - 11.

(٤) نورد هنا نصّ الوثيقة: «ان مسيرة التفسير البيبلي مدعوّة لإعادة التفكير في خطّها على ضوء التفسير الفلسفي الحديث، إذ بيّن هذا التفسير إشراك «الذاتية» في المعرفة التاريخية. انّ الفكر التفسيري البيبلي نال دفعاً جديداً مع نشر اعمال فريدريك شليرماخر (F. Schleirmacher) وويلهام ديلتي (W. Dilthey) وخاصة مارتان هيدغر (M. Heidegger). وبمحاذاة هؤلاء الفلاسفة وبالابتعاد عنهم، قام مؤلفون عديدون بتعميق نظرية التفسير البيبلي المعاصرة، وبتطبيقها على البيبليا. من بين هؤلاء الكتّاب نشير الى رودولف بولتمن (R. Bultmann) وهانس جورج غادمير (Gadamer) وبول ريكور (P. Ricoeur) (٦٣). ومن ثم تعرض الوثيقة الأفكار الرئيسيّة لفلسفتهم.

يجب اتّباعها في الكشف عن غنى المعاني في نصّ الكتاب المقدّس، الى ان ننتهي في طرق عرض التفسير في الكنيسة.

١ – معاني الكتاب المقدّس

باستعماله اللغة يصبو الانسان الى نقل أمر ما الى انسان آخر. وما يريد نقله هو معنى العبارة أو النصّ. والكتاب المقدّس هو أيضاً نصّ، يريد من خلاله الكاتب أن ينقل معنى معيَّناً. ولكنّ الكتاب المقدّس له طبيعة إلهية بشرية. إنه من وضع الله وفي نفس الوقت يرجع الى كاتب بشريّ، يريد الله من خلاله تحقيق مخطّطه الخلاصيّ. لذلك لدينا معضلات تفسيرية تتعلّق خاصة بالكتاب المقدّس: هل نستطيع أن نبحث عن معنى أبعد من المعنى الحرفيّ، أي ذلك الذي أراده الكاتب البشريّ؟

أ – **المعنى الحرفي** هو الذي تعبّر عنه الكلمات المكتوبة في سياق النصّ. السياق يعني أموراً كثيرة: السياق المباشر أي الفصل أو الكتاب، والسياق الواسع، مثلاً المحيط الثقافي والتاريخي والجغرافي للكاتب. يمكن أن يكون المعنى الحرفي خاصاً أو مجازياً.

يكون المعنى الحرفي خاصاً عندما نفهم الكلمات بمعناها الاصليّ. وهذا لا يعني أنّ النصّ يدلّ على حقيقة موضوعيّة. فالأمثال لها معنى حرفي، رغم أنّها لا تعبّر عن حقيقة تاريخيّة موضوعيّة.

يكون للنصّ معنى حرفي مجازي عندما لا نستطيع أن نفهم الكلمات بمعناها الاول، بل بمعنى آخر، إمّا لأن له صلة مع الاول، أو لأنّ الناس اتفقوا على ذلك. نأخذ على سبيل المثال الاستعارة: «أنتم نور العالم» (متّى ٥:١٤). لا يمكن أن يكون الانسان نوراً مثل المصباح أو مثل النجوم والشمس والقمر. الانجيل يعبّر هنا عن نور البشارة. لا يمكننا أن نفهم معنى الكلمات إلا بالمجاز.

ولكن اذا حدّدنا موضوعياً المعنى الحرفي بأبعاده المختلفة، هل نستطيع القول إنّه واحد ولا يقبل التعددية؟

كلّ عبارة شفهية أو مكتوبة تحمل معنى واحداً. في الكتاب المقدّس، يريد الله التعبير عن إرادته بواسطة كاتب بشريّ. لذلك يكون معنى الكلمات هو ما يريد الله إيصاله الينا لا غير ولا يمكن أن يكون هناك من معنى آخر غير الذي تعبّر عنه الكلمات ذاتها.

إذاً باستطاعتنا القول إنّ المعنى الحرفي واحد. هذا الرأي فرض نفسه كردة فعل على طريقة التفسير من عصر الآباء وحتى مطلع التاسع عشر، عندما بدأ اللاهوتيون يتّبعون المنهجية النقدية والتاريخية في تفسير النصوص القديمة. ولكن وثيقة اللجنة الحبرية، **التفسير البيبلي في الكنيسة**، تتبنّى معطيات فلسفة التفسير ومن خلالها اعادة الاعتبار الموضوعي إلى التقليد. نقدّم تباعا الافكار الرئيسية للوثيقة التي تتعلّق بموضوعنا.

نقطة الانطلاق تكون بالضرورة تحديد المعنى الدقيق للنصوص، كما وضعها مؤلّفوها في الأصل، وهذا ما نسمّيه «المعنى الحرفي». ومن ثم تقول الوثيقة: «وبما أنّ هذا المعنى هو ثمرة الالهام، فهو إذا عمل يريده الله، المؤلف الأساسي. ونحن نميّز هذا المعنى عن طريق التحليل الدقيق والواضح للنص الموضوع في إطاره الادبي والتاريخي» (ص ٦٩).

ولكن يجب عدم الخلط بين المعنى الحرفي و«حرفية النصّ» التي يتمسّك بها الاصوليون. فالترجمة الحرفية ليست كافية لفهم النص، لأنّ المطلوب هو تمييز النوع الأدبي.

أمّا السؤال المطروح فيتعلّق بوحدة المعنى الحرفي. تقول الوثيقة: «بالاجمال نعم، ولكن هذا ليس مطلقاً، وذلك لسببين: فمن جهة، يستطيع كاتب بشري الاستناد في الوقت ذاته إلى عدة مستويات من الواقع، وهذه الحالة رائجة في الشعر... ومن جهة أخرى، حتى وان أوحى تعبير بشري بأنّه ليس له سوى معنى واحد، يستطيع الالهام الالهي توجيه هذا التعبير بطريقة تجعله ذا معنى مزدوج» (ص ٦٩). لذلك يجب التنبّه للوجه الديناميكي لبعض النصوص. على سبيل المثال نذكر نبوءة ناتان للملك داوود حول ديمومة ملكه، حسب العهد الذي قطعه الله معه (٢ صم ٧). بغضّ النظر عن تأريخ هذا النص، كان بمثابة الأساس لكلّ

النبوءات المسيحانية اللاحقة التي تطوّرت بفعل الالهام. وكان هذا التطور ينتج عن قراءة جديدة للملكية المسيحانية لداود ونسله، قراءة تستنير بقديم النبوءات لتنير الواقع التاريخي الجديد.

وفي نهاية الكلام عن المعنى الحرفي تحذّر الوثيقة بشدّة من تحميل النص أي معنى كان، بتفسيره بطريقة ذاتية. امكانية الكشف عن أكثر من معنى حرفي للنص، بفعل إعادة القراءة له في أطر جديدة، لا يسمح على الاطلاق بالقبول بتفسيرات غير متجانسة مع المعنى الاصلي، لأن ذلك يعني قطع الرسالة البيبليّة من جذورها (راجع أيضاً **الوحي الالهي ١١**).

ب – المعنى المسيحي الكامل

يبقى المعنى الحرفي أساساً لكلّ تفسير لنصوص الكتاب المقدّس، ولكنّه لا يستوفي كلّ غنى التعابير. يحدّد اللاهوتيون عنصرين من أجل سبر عمق المعاني في الكتاب المقدّس: الاول يتعلّق بانقسامه الى جزءَين، العهد القديم والعهد الجديد، والثاني يتعلّق بالتوجّه الأخيري لكلّ الكتاب المقدّس. لقد ظهر سرّ المسيح في ملء الأزمنة، في العهد الجديد، ولكنّه كان حاضراً في العهد القديم وفي نشأة شعب الله وإيمانه عبر تاريخ الخلاص. لقد اكتسبت النصوص معاني جديدة في الأطر المختلفة للوحي، وصولاً الى ملء المعنى بسر المسيح. هذا المعنى البيبلي الناتج عن وضعه في السياق العام للتدبير الالهي هو ما نسمّيه المعنى المسيحي الكامل. لقد اعتمد كتاب العهد الجديد هذا النهج في تفسير العهد القديم، متّبعين بذلك تعليم المعلّم الالهي. وهو أيضاً النهج الذي تبنّاه آباء الكنيسة والليتورجيا المسيحيّة.

المعنى المسيحي الكامل يتضمّن عدة تسميات وأقسام. تعتمد، على سبيل المثال، الوثيقة الحبرية عبارة «المعنى الروحي»، وهي العبارة الشائعة للتعبير عن هذا المعنى. تذكّر هذه العبارة بدور الروح القدس في الالهام وفي التدبير الخلاصي والذي يغذي الحياة الروحية للمسيحيين. ولكن بعض المفسّرين يعتبر أن هذه العبارة يمكن أن توحي بعدم صلة هذا المعنى الحرفي. لذلك اعتمدوا عبارة «المعنى

المسيحي الكامل»[٥]، الذي يتخذ اسماء أخرى حسب المعطيات البيبلية: المعنى التيبولوجي والمعنى الكامل.

المعنى التيبولوجي يتعلّق بالأشياء والوقائع التي ترمز الى وقائع التدبير النهائي للخلاص. استعمل القديس بولس عبارة «تيبولوجي» في رسائله: ١ قو ١٠:٦؛ روم ٥:١٤ وغل ٤:٢٤. لكي نستطيع الكلام عن معنى تيبولوجي يجب أن نجد النصوص في العهد الجديد التي تذكّر بوضوح بوقائع ترمز اليها في العهد القديم. فالله بتدبيره أراد هذا التكامل والتحضير للأمور المقبلة عبر تاريخ الخلاص. المعنى التيبولوجي لا يعني أبداً مجرّد تصوّر مسبق بل أشياء مثل الهيكل أو شخصيات مثل آدم، أو وقائع مثل الخروج، كانت ترمز الى ملء المعنى الالهي في المسيح، مركز تاريخ الخلاص (راجع **الوحي الالهي** ٤ و١٥ و١٧).

«المعنى الكامل» هو عبارة جديدة استعملت في بداية القرن الماضي[٦]، وذلك بسبب الصعوبات التي واجهت التفسير الكاثوليكي الذي كان يدافع عن المعنى المسيحاني لبعض نصوص العهد القديم، بينما كان المفسّرون يرفضون ذلك المعنى لأنه يخرج عن نطاق منهجية النقد الادبي والتاريخي. ويجدر بالذكر أن بعض هذه النصوص كان لها أهمية عقائدية. على سبيل المثال نذكر عقيدتي الحبل بلا دنس وانتقال العذراء إلى السماء. آباء الكنيسة والتعليم الرسمي للكنيسة كانوا قد اعتادوا الاعتماد على تك ٣:١٥ لتفسير هذه العقيدة. لا يمكن للتفسير الحرفي أن يصل إلى هذا المعنى العقائدي للنصّ، إذا اعتمد فقط على أصوله المنهجية، دون الرجوع الى تعليم الكنيسة. هناك نصوص أخرى لها تفسير مسيحاني واضح في العهد الجديد، يرفضه بعض العلماء الذي يعتمدون حصرياً على وحدة المعنى

(٥) Card. Carlo M. Maritini - D. Pietro Bonatti, Il messaggio della salvezza. Introduzione generale, Torino, 1990, 242 - 260.

(٦) راجع على سبيل المثال J. Coppens, Les harmonies des deux Testaments, Paris; Id., "Nouvelles réflexions sur les divers sens des Saintes Ecritures", NRT 84 (1952) 3 - 20.

الحرفي. على سبيل المثال نذكر: أش ١٤:٧ (راجع متّى ٢٢:١ – ٢٣)؛ أناشيد عبد الرب في أشعيا الثاني (أش ١٣:٥٢ – ١٢:٥٣).

لذلك يمكن القول إنّ الكاتب الملهم لم يكن حاضراً في ذهنه المعنى الكامل لكتاباته، بل قصد فقط التعبير عنها في إطاره الثقافي والتاريخي. ولا نصل إلى المعنى الكامل إلا عندما نضع النصوص في إطار تاريخ الخلاص بمجمله. لقد قال بعض الفلاسفة إنّ النصّ المكتوب، أي نصّ أدبي، يكتسب بعض الاستقلالية عن كاتبه الاول عندما يوضع في أطر جديدة(٧)، رغم أن قصده لا يغيب عنه. لذلك يمكن القول إنّ المعنى المسيحي الكامل هو شرعي لا بل ضروري للتوصل الى قصد واضع الكتاب المقدّس الأول الأساسيّ، أي الله الذي أتمّ تدبيره الخلاصيّ بالمسيح وبنوع خاص بسرّه الفصحيّ.

ت – التفسير الحياتيّ

التفسير الحياتي هو دعوة الى عدم اعتبار النصّ كمادة للفحص المجهريّ، ذلك لأنّ الفهم هو مسألة أنتروبولوجيّة تتعلّق بالانسان ككلّ من خلال علاقة شخصيّة مع النصّ. لا بل بامكاننا القول إنّ الفهم الحقيقيّ للكتاب المقدّس ينمو من خلال الايمان بأنّ وراء الكلمات هناك كلمة الله الأزليّ.

لذلك يجب البحث أيضاً عن «الأحكام المسبقة» أو ما يسمّى في الفلسفة التفسيريّة «الفهم المسبق»(٨)، وهو الخلفية الثقافيّة والدينيّة للمفسّر. هناك علاقة

(٧) هذه فكرة ريكور كما توردها الوثيقة: «من فكرة ريكور التفسيرية، نحفظ أولاً إبراز عامل المسافة كفرضية مسبقة ضرورية لاستيعاب النص بشكل صحيح. المسافة الأولى توجد بين النص وكاتبه. والنص، عندما يدوّن، يستقلّ بالنسبة إلى الكاتب، ويصبح مقلعاً لأكثر من معنى. والمسافة الأخرى توجد بين النص وبين قرّائه المتتابعين، فهؤلاء عليهم احترام جوّ النص في غيريته. ان طرق التحليل الأدبيّة والتاريخيّة ضرورية اذن للتفسير. وفي كلّ مرة، لا يمكن إعطاء معنى كامل للنص إلا إذا استطعنا تأوينه في واقع القرّاء المعاش» (٦٤ – ٦٥).

(٨) نورد هنا فكرة غادامير كما ترد في الوثيقة: «ويشير غادامير الى المسافة التاريخية بين النص وبين من يفسّره. انّه يستعيد نظرية «الدائرة التفسيرية» ويوسعها. إن المشاركات والمفاهيم المسبقة التي تطبع فهمنا للنص البيبلي تأتي من التقليد الذي يؤثر فينا. ويتكوّن هذا التقليد من مجموعة معطيات تاريخية وثقافية تؤلّف إطارنا الحيوي، وأفق فهمنا. فعلى المفسّر الدخول في حوار مع الواقع الذي يدور حوله النص. ويجري الفهم من خلال دمج، بل ذوبان الآفاق المختلفة في النص وعند قارئه. ولا يكون هذا الفهم ممكناً إلا إذا حصل ذلك الذوبان والانتماء، أي الانسجام المبدئي بين المفسر والموضوع. التفسير البيبلي هو مسار ديالكتيكي، جدلي: فهم النص هو دائماً فهم المفسّر لذاته بشكل أوسع» (٦٤).

وثيقة بين اللاهوت وعلم التفسير. فالمفسّر الحقيقي للكتاب المقدّس هو لاهوتيّ والعكس أيضاً صحيح. لا يمكن للمفسّر أن يزعم الموضوعيّة في التفسير كتلك المتّبعة في العلوم الوضعية. فالخلفية العقائدية للمفسّر تلعب دوراً مهمّاً في بلورة الأمور وفهم النصوص المهمّة، ذات الطابع العقائدي. ولكن من المهم أيضاً التأكيد على الانفتاح السليم والمتواضع والمنهجيّ على النصّ، لئلاّ نقع في النظرة الذاتيّة (subjectivisme) .

والسؤال المطروح يتعلّق ليس فقط بالتفسير بل بالتأوين أيضاً. لا يكفي اعتبار النص مجرّد «شيء» للتحليل. فالمطلوب دخول الكلمة الى الأعماق وترجمتها في الحياة، لتصبح تفسيراً حياً في الكنيسة.

٢ – مبادئ تحديد المعنى

يجب على مفسّر الكتاب المقدّس الاعتماد المنهجي على أسس التفسير. تتصدّرها المقاييس العقائديّة. من المستحيل التوصّل الى تفسير حقيقيّ للكتاب المقدّس إذا وضعنا جانباً عقيدة الالهام، أي الأصل الالهي للكتاب المقدّس، وما يترتّب على هذه العقيدة، مثل وحدة الكتاب المقدّس في عهديه القديم والجديد، وحقيقة الكتاب المقدّس الذي لا يتضمّن أخطاء.

هناك أيضاً أسس للتفسير تتأتّى عن تسليم الكتاب المقدّس للكنيسة. الكتاب المقدّس هو كتاب الكنيسة، لها وحدها سلطة التفسير الاصيل لبعض النصوص الأساسيّة للإيمان (راجع **الوحي الالهي** ٨ و٩ و١٠ و١٢). ولكن لم تكرّس أي تفسير لأي سفر من أسفار الكتاب المقدّس. لذلك يقتصر تفسيرها العقائدي على بعض النصوص القليلة جداً. ولكن علينا الوصول إلى أبعد من ذلك، إلى الخلفية الايمانية الشاملة للكنيسة، فنرفض ذلك التفسير الذي يضع الكتب الملهمة الواحد ضدّ الآخر أو التفسير الذي يتناقض مع ايمان الكنيسة. هذا لا يعني بالطبع فرض المعنى على النصوص.

أما المواد الأدبيّة، كالقواعد والأنواع الأدبيّة، والمواد التاريخيّة والجغرافيّة، هي أيضاً أساسيّة للتفسير. بواسطتها يمكن التوصل الى قصد الكاتب الملهم، ومن

وثيقة بين اللاهوت وعلم التفسير. فالمفسّر الحقيقي للكتاب المقدّس هو لاهوتيّ والعكس أيضاً صحيح. لا يمكن للمفسّر أن يزعم الموضوعيّة في التفسير كتلك المتّبعة في العلوم الوضعية. فالخلفية العقائدية للمفسّر تلعب دوراً مهمّاً في بلورة الأمور وفهم النصوص المهمّة، ذات الطابع العقائدي. ولكن من المهم أيضاً التأكيد على الانفتاح السليم والمتواضع والمنهجيّ على النصّ، لئلاّ نقع في النظرة الذاتيّة (subjectivisme) .

والسؤال المطروح يتعلّق ليس فقط بالتفسير بل بالتأوين أيضاً. لا يكفي اعتبار النص مجرّد «شيء» للتحليل. فالمطلوب دخول الكلمة الى الأعماق وترجمتها في الحياة، لتصبح تفسيراً حياً في الكنيسة.

٢ – مبادئ تحديد المعنى

يجب على مفسّر الكتاب المقدّس الاعتماد المنهجي على أسس التفسير. تتصدّرها المقاييس العقائديّة. من المستحيل التوصّل الى تفسير حقيقيّ للكتاب المقدّس إذا وضعنا جانباً عقيدة الالهام، أي الأصل الالهي للكتاب المقدّس، وما يترتّب على هذه العقيدة، مثل وحدة الكتاب المقدّس في عهديه القديم والجديد، وحقيقة الكتاب المقدّس الذي لا يتضمّن أخطاء.

هناك أيضاً أسس للتفسير تتأتّى عن تسليم الكتاب المقدّس للكنيسة. الكتاب المقدّس هو كتاب الكنيسة، لها وحدها سلطة التفسير الاصيل لبعض النصوص الأساسيّة للإيمان (راجع **الوحي الالهي** ٨ و٩ و١٠ و١٢). ولكن لم تكرّس أي تفسير لأي سفر من أسفار الكتاب المقدّس. لذلك يقتصر تفسيرها العقائدي على بعض النصوص القليلة جداً. ولكن علينا الوصول إلى أبعد من ذلك، إلى الخلفية الايمانية الشاملة للكنيسة، فنرفض ذلك التفسير الذي يضع الكتب الملهمة الواحد ضدّ الآخر أو التفسير الذي يتناقض مع ايمان الكنيسة. هذا لا يعني بالطبع فرض المعنى على النصوص.

أما المواد الأدبيّة، كالقواعد والأنواع الأدبيّة، والمواد التاريخيّة والجغرافيّة، هي أيضاً أساسيّة للتفسير. بواسطتها يمكن التوصل الى قصد الكاتب الملهم، ومن

خلاله الى قصد الله في تدبيره الخلاصيّ. فالكاتب الملهم هو كاتب بكلّ معنى الكلمة.

٣ – الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة

في هذا الفصل الأخير من بحثنا نعطي لمحة سريعة عن طرق تقديم التفسير في الكنيسة. هناك عدة طرق لخدمة الكتاب المقدّس وكلّها صحيحة وضرورية لحياة الكنيسة.

أولاً، لدينا العرض العلميّ الذي يتحقّق من خلال نوعين أساسيين من الأعمال العلمية: شرح النص الذي يمكن أن يصبح شرحاً لسفر معيّن واللاهوت البيبلي. هناك بعد رسوليّ أكيد لهذا الشرح العلمي حسب المجمع الفاتيكاني الثاني، الوحي الالهي ٢٣: «على العلماء الكاثوليك من المفسّرين، وعلى كلّ من تضلّع من علم اللاهوت المقدّس، أن يتعاونوا تعاوناً نشيطاً، وأن يستعملوا الطرق المناسبة، تحت إشراف السلطة التعليمية المقدّسة، لكي يسبروا أغوار الكتب المقدّسة، ويعرضوا محتوياتها بأسلوب جيّد، بحيث يتمكّن أكبر عدد من خدام الكلمة الالهية أن يُصلحوا، لشعب الله، غذاء مستمداً من الكتب المقدّسة، يُنير الأذهان، ويوطّد العزائم، ويُلهب قلوب البشر من محبّة الله. إنّ المجمع المقدّس يُناشد أبناء الكنيسة، ممّن نذروا أنفسهم للدراسات الكتابية، أن يسيروا بحماسة شديدة حتى النهاية، في علم التنقيب الذي انطلق حتى الآن بنجاح عظيم، وأن يُجدّدوا عزائمهم يوماً بعد يوم، ملتزمين بتوجيهات الكنيسة».

ثانياً، يأتي العرض الرسولي والرعائي وهو شرح للكتاب المقدّس موجّه إلى المؤمنين من خلال التعليم المسيحي والليتورجيا (راجع **الوحي الالهي** ٢١). يذكّر المجمع أنّ المبدأ الأساسيّ للعرض الرسوليّ هو وحدة الكتاب المقدّس بكامله، كتاباً ملهماً (**الوحي الالهي** ١١). على خادم الكلمة أن ينطلق دائماً من المعنى الحرفي للنصوص وصولاً الى المعنى المسيحي الكامل والتأوين.

أخيراً يذكّر المجمع بأهمية القراءة الشخصيّة للكتاب المقدّس. لهذه القراءة الشخصيّة منفعة كبيرة عندما تكون امتداداً للقراءة الجماعيّة (**الوحي الالهي** ٢٥).

خاتمة

في نهاية هذا العرض السريع، باستطاعتنا القول إنّ تفسير الكتاب المقدّس يرتبط إرتباطاً وثيقاً بحقيقته ككتاب ذي طبيعة إلهية وبشرية في آن واحد. حقيقة الالهام تؤكّد أنّ الله هو الواضع الأساسيّ والأول للكتاب المقدّس. ولكن الانسان الملهم هو كاتب حقيقيّ بكلّ معنى الكلمة، تنطبق عليه مواصفات المؤلّف لأي عمل أدبيّ. لذلك يجب على المفسّر أن ينطلق من هذه الحقيقة الايمانية والعلمية في آن لتفسير نصوص الكتاب المقدّس. لا خلاف على الاطلاق بين التفسير الحرفي والتفسير المسيحي الكامل أو ما يُدعى عادة التفسير الروحي، لا بل علينا أن نتواضع فننطلق دائماً من قراءة حرفية للنصّ وصولاً إلى المعنى الروحي. ألم يكن هذا مشروع الله منذ البداية؟ منذ البداية تنازل فتكلّم مع أصفيائه بلغة البشر. وفي ملء الأزمنة تجسّد الكلمة الأزليّ واتّخذ طبيعة البشر وصار شبيها بنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. والانسان يسوع، ابن الناصرة صار موضع اللقاء الدائم مع الله. فالوصول الى الآب واللقاء به يمرّ به وحده. لذلك يجب علينا نحن السائرين مع الكنيسة الى ملء الحقيقة أن نتمسّك بهذه الكلمات المقدّسة تمسكنا بجسد المسيح ليكون لنا الطريق الى ملء الفهم والمعرفة. أختم بكلمات المجمع الفاتيكاني الثاني: «ففي الكتاب المقدّس إذن يظهر «تنازل» الحكمة الأزليّة، هذا التنازل العجيب الذي تبقى فيه حقيقة الله وقداسته على ما هما عليه، وبه نقدر عطف الله الفائق الوصف، الذي جعله يرفق بطبيعتنا ويتجاوب معها، فيُكيّف كلامه حسب متطلّباتها، حتى إنّ كلام الله، وقد نطقت به شفاه بشرية، صار شبيهاً بكلام البشر، كما أنّ كلمة الآب الأزليّ قد اتّخذ يوماً بالجسد وهن الطبيعة البشريّة وصار شبيهاً بالبشر» (**الوحي الالهي** ١٣).